

تفسير البحر المحيط

@ 11 @ وهذا يبعد قول من ذهب إلى أن أولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب ،
وتقدّم الكلام في أول مرة في سورة التوبة . { وَلَيُتَذَكَّرُونَ } { وَلا يهلكوا . وقال قطرب :
يهدموا . قال الشاعر : % (فما الناس إلاّ عاملن فعامل % .
يتبر ما يبني وآخر رافع .
%)

والظاهر أن { مَا } مفعولة بيتبروا أي يهلكوا ما غلبوا عليه من الأقطار ، ويحتمل أن
تكون ما ظرفية أي مدة استيلائهم عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية إن تبتم وانزجرت
عن المعاصي ، وهذه الترجئة ليست لرجوع دولة وإنما هي من باب ترحم المطيع منهم ، وكان
من الطاعة أن يتبعوا عيسى ومحمدًا عليهما السلام فلم يفعلوا . { وَإِنِّ عُدْتُمْ } إلى
المعصية مرة ثالثة عدنا إلى العقوبة وقد عادوا فأعاد الله عليهم النعمة بتسليط الأكاسرة
وضرب الأتاوة عليهم . وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم) فهم يطعون
الجزية عن يد وهم صاغرون . وعن قتادة : ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من
العرب فهم منه في عذاب إلى يوم القيامة انتهى . ومعنى { عُدُّنَا } أي في الدنيا إلى
العقوبة . وقال تعالى : { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَذَكَّنَّ عَنَّا آلِيَهُمْ } إلى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ } ثم ذكر ما أعد لهم في الآخرة
وهو جعل جهنم لهم { حَصِيرًا } والحصير السجن . قال لبيد : % (ومقامه غلب الرجال
كأنهم % .

جن لدى باب الحصير قيام .

%)

وقال الحسن : يعني فراشاً ، وعنه أيضاً هو مأخوذ من الحصر والذي يظهر أنها حاصرة لهم
محيطة بهم من جميع جهاتهم ، فحصير معناه ذات حصر إذ لو كان للمبالغة لزمته التاء
لجريانه على مؤنث كما تقول : رحيمة وعليمة ، ولكنه على معنى النسب كقوله السماء منفطر
به أي ذات انفطار . .

{ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّهِ هِيَ أَقْوَمُ } وَيُبَشِّرُ

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا *
وَأَنَّ السَّالِفِينَ لَأُولَئِكَ مِنْذُورٌ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *
وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا *

وَجَعَلْنَا السَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ السَّيْلِ
وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مِصْرَةَ لَيْلِيَتَغْوُوا فَضَلَّ مِّن رَّبِّكُمْ
وَلَيْتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحَسَابِ . .

لما ذكر تعالى من اختصه بالإسراء وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن آتاه التوراة وهو موسى عليه السلام وأنها هدى لبني إسرائيل ، وذكر ما قضى عليهم فيها من التسليط عليهم بذنوبهم ، كان ذلك رادعاً من عقل عن معاصي الله فذكر ما شرف الله به رسوله من القرآن الناسخ لحكم التوراة وكل كتاب إلهي ، وأنه يهدي للطريقة أو الحالة التي هي أقوم . وقال الضحاك والكلبي والفراء { السَّيِّئِ هِيَ * أَقْوَمٌ } هي شهادة التوحيد . وقال مقاتل : للأوامر والنواهي و { أَقْوَمٌ } هنا أفعل التفضيل على قول الزجاج إذ قدر أقوم الحالات وقدره غيره أقوم مما عداها أو من كل حال ، والذي يظهر من حيث المعنى أن { أَقْوَمٌ } هنا لا يراد بها التفضيل إذ لا مشاركة بين الطريقة التي يرشد إليها القرآن وطريقة غيرها ، وفضلت هذه